" بقدر " بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة . أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم . " فأسكنه فى الأرض " كقوله : " فسلكه ينابيع في الأرض " الزمر : 21 ، وقيل : جعلناه ثابتا في الأرض . وقيل : إنها خمسة أنهار : سيحون . نهر الهند . وجيحون : نهر بلخ ودجلة والفرات : نهرا العراق . والنيل : نهر مصر أنزلها ا من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معيشهم . وكما قدر على أنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته . وقوله : " على ذهاب به " من أوقع النكرات وأحزها للمفصل . والمعنى : على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه . وفيه إيذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايى عليه شيء إذا أراده وهو أبلغ في الإيعاد من قوله : " قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين " الملك : 30 ، فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها إذا لم تشكر .

" فأنشأنا لكم به جنت من نخيل وأعنب لكم فيها فوكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين " .

خص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع . ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع بين أمرين : بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا . والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون قوله : " ومنها تأكلون " من قولهم : يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها : يعنون أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال : وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترتزقون وتتعيشون " وشجرة " عطف على جنات . وقرئت مرفوعة على الابتداء أي : ومما أنشيء لكم شجرة و " طور سيناء " وطور سينين لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون وإما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف إليه كامرىء القيس وكبعلبك فيمن أضاف . فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث ؛ لأنها بقعة وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كحلباء وحرباء . ومن فتح فلم يصرف ؛ لأن الألف للتأنيث كصحراء . وقيل : هو جبل فلسطين . وقيل : بين مصر وأيلة . ومنه نودي موسى عليه السلام . وقرأ الأعمش : " سينا " على القصر " بالدهن " في موضع الحال أي : تنبت وفيها الحصن . وقرىء : " تنبت " وفيه وجهان أحدهما : أن أنبت بمعنى نبت . وأنشد لزهير : .

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل .

والثاني : أن مفعوله محذوف أي : تنبت زيتونها وفيه الزيت . وقرىء : " تنبت " بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت . وقرأ ابن مسعود : تخرج الدهن وصبغ الآكلين . وغيره : تخرج بالدهن : وفي حرف أبي : " تثمر الدهن " وعن بعضهم : تنبت بالدهان . وقرأ الأعمش : " وصبغا " وقرىء : " وصباغ " ونحوهما : دبغ ودباغ . والصبغ : الغمس للائتدام . وقيل : هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها ا تعالى بالبركة في قوله : " يوقد من شجرة مباركة " النور : 35 .

" وإن لكم في الأنعم لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منفع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون " .

قرىء : " تسقيكم " بتاء مفتوحة أي : تسقيكما الأنعام " ومنها تأكلون " أي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير . وفيها منفعة زائدة وهي أكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالأنعام إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك - التي هي السفائن - لأنها سفائن البر . قال ذو الرمة : .

سفينة بر تحت خدي زمامها .

يريد صيدحه .

" ولقد أسلنا نوحا إلى قومه فقال يقوم اعبدوا ا ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء ا لأنزل ملئكة ما سمعنا بهذا فى ءابائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين "